لخروجها عن حكم التعيين فالايجاز اداء المقصود باقل من عبارة المتعارف والاطناب
اداؤه باكثر منها قال والاختصار لكونه نسبيا يرجع تارة الى ما سبق اي الى كون عبارة
المتعارف اكثر منه ويرجع تارة اخرى الى كون المقام خليقا بابسط مما ذكر اي من كلام
الذي ذكره المتكلم وليس المراد متعارف الاوساط على ما سبق الى بعض الاوهام يعني قد
يوصف الكلام بالاختصار لكونه اقل من عبارة المتعارف وقد يوصف به لكونه اقل من
العبارة اللائقة بالمقام بحسب مقتضى الظاهر كقوله تعالى رب اني وهن العظم مني واشتعل
الراس شيبا فانه اطناب بالنسبة الى المتعارف وهو قولنا يا ربي شخت لكنه ايجاز بالنسبة
الى ما يقتضيه المقام لانه بيان لانقراض الشباب والمام المشيب فينبغي ان يبسط فيه الكلام
غاية البسط ويبلغ في ذلك كل مبلغ ممكن فعلم ان للايجاز معنيين احدهما كون الكلام
اقل من عبارة المتعارف والثاني كونه اقل مما هو مقتضى ظاهر المقام وبينهما عموم من وجه
لتصادقهما فيما هو اقل من عبارة المتعارف ومقتضى المقام جميعا كما اذا قيل رب شخت
بحذف حرف النداء وياء الاضافة وصدق الاول بدون الثاني كما في قوله اذ قال الخبيث
نعم بحذف المبتدا فانه اقل من عبارة المتعارف وهو هذا نعم وليس اقل من مقتضى
المقام لان المقام لضيقه يقتضي حذف المسند اليه كما مر وصدق الثاني بدون الاول
كما في قوله تعالى رب اني وهن العظم مني ويمكن اعتبار هذين المعنيين في الاطناب ايضا
لكنه لم يذكره لانسياق الذهن اليه مما ذكر في الايجاز والنسبة بين الاطنابين ايضا
عموم من وجه وكذا بين الايجاز بالمعنى الثاني وبين الاطناب فليتامل وقد يتوهم من
كلام السكاكي ان الفرق بين الايجاز والاختصار هو ان الايجاز ما يكون بالنسبة الى
المتعارف والاختصار ما يكون بالنسبة الى مقتضى المقام وهو وهم لان السكاكي قد
صرح باطلاق الاختصار على كونه اقل من المتعارف نصا نعم لو قيل الايجاز اخص
باصطلاحه لانه لم يطلقه على ما هو بالنسبة الى مقتضى المقام لم يبعد عن الصواب
وفيه نظر لان كون الشيء نسبيا لا يقتضي تعسر تحقيق معناه لان كثيرا من
الامور النسبية والمعاني الاضافية قد تحقق معانيها وتعرف تعريفات تليق بها
كالابوة والبنوة ونحوهما والجواب ان المراد بتعسر تحقيق معناه انه لا يمكن ان يحقق
ويعين ان هذا القدر من الكلام ايجاز وذلك اطناب على ما مر وهذا امر ضروري
وليس المراد به انه لا يمكن ان يبين معناهما اصلا لان ما ذكره السكاكي تفسير لهما ثم البنا
ء على المتعارف والبسط الموصوف بان يقال الايجاز الكلام قد يكون لكونه اقل من عبارة

المتعارف

وقد يكون لكون المقام خليقا بكلام ابسط من الكلام المذكور رد الى الجهالة لانه لا
تعرف كمية متعارف الاوساط وكيفيتها لاختلاف طبقاتهم ولا يعرف ان كل مقام اي
مقدار يقتضي من البسط حتى يقاس عليه ويحكم بان المذكور اقل منه او اكثر وجوابه ان
الالفاظ قوالب المعاني والقدرة على تاديته بعبارات مختلفة في الطول والقصر والتصرف
في ذلك بحسب مناسبة المقامات انما هي من دأب البلغاء واما المتوسطون بين الجهال والبلغاء
فلهم في تفهيم المعاني حد معلوم من الكلام وعبر عنه فالبناء على المتعارف صحيح بالنسبة
اليهما جميعا واما البناء على البسط الموصوف فانما هو بالنسبة الى البلغاء فقط وهم
يعرفون ان اي مقام يقتضي البسط وان كل مقام اي مقدار يقتضي من البسط على ما مر
نبذ من ذلك فلا يؤدي لسابقه فلا رد الى الجهالة والاقرب الى الصواب والى
الفهم ان يقال التعبير عن المقصود اما ان يكون بلفظ مساو له او لا والثاني اما
ان يكون ناقصا عنه او زائدا والناقص اما ان يكون وافيا به او لا والزائد اما ان
يكون لفائدة او لا فهذه خمسة طرق ثلاثة منها مقبولة واثنان مردودان اما الثلاثة
المقبولة من طرق التعبير عن المراد فهو تادية اصله بلفظ مساو له اي لاصل المراد
او بلفظ ناقص عنه واف او بلفظ زائد عليه لفائدة فالمساواة ان يكون
اللفظ بمقدار اصل المراد والايجاز ان يكون اللفظ ناقصا عنه وافيا به والاطناب
ان يكون زائدا عليه لفائدة واحترز بواف عن الاخلال وهو ان يكون اللفظ ناقصا
عن اصل المراد غير واف به كقوله اي الحارث بن حلزة اليشكري
والعيش خير في ظلال النوك اي الحمق والجهالة ممن اي من عيش من عاش كدا اي
مكدودا متعوبا اي الناعم في ظلال العقل يعني ان اصل مراده ان العيش الناعم
في ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل ولفظه غير واف بذلك
فيكون مخلا وفيه نظر لانه قد اشتهر في العرف ان العيش المعتبر اعني العيش الناعم
انما هو عيش الجهلة الحمقى دون العقلاء المتاملين في عواقب الامور فجعل مطلق العيش
في ظلال النوك كناية عن العيش الناعم والعيش الشاق كناية عن عيش العقلاء المتحيرين
في امورهم وامثال هذا لطف وجه الى ان العيش في ظلال الجهل والحماقة لا يكون الا
ناعما وان العيش الشاق لا يكون الا عيش العاقل حتى انه لو ذكر الناعم وفي ظلال
العقل لكان كالتكرار ونبه على ذلك لفظا الظلال واحترز بفائدة عن التطويل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)